قصّة سليمان

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

نبيُّ الله سليمان هو ابن داود، ولُقِّبَ بالحكيم، لأنَّه تميز بالفطانة والفصاحة في اتِّخاذ الحكم. وظهر ذلك مثلاً من خلال حكمه حينما أتاه خصمان: صاحب حرث وصاحب غنم. وحكم سليمان على غير ما حكم أبوه داود. ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: 78-79].

وسُرَّ داود برأي ابنه وعمل بمقتضاه.

وكان سليمان وأبوه شاكرين لله على ما أعطاهما من فضل ونعمة. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

سليمان ملكاً:

بعد وفاة داود تولَّى الحكم والملك في بني إسرائيل ابنه سليمان. وقد منَّ الله عليه بأن علَّمه منطق الطير وأعطاه كثيراً من الأمور التي لم يعطها لغيره. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

ومن الممكن إيجاز فضل الله على سليمان بما يلي:

- آتاه الله الملك.

- آتاه النبُوة.

- علَّمه منطق الطير.

- سخَّر له الجن، فاستعمل البنَّائين منهم في بناء المباني الحجرية الضخمة. كما سخَّر له الغواصين الذين يستخرجون اللآلئ بإذنه تعالى من جوف البحار والمحيطات. ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ(1) وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ(2) وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ(3) ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 12-13].

- سخَّر له الريح. ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾ [سبأ: 12]. ومن الطرائف ما يقال في الأساطير عن بساط الريح. وأساسها البساط الذي كان يجلس عليه سليمان ويأمر به الريح إلى حيثما يريد، ويتَّسع لما يريد حمله سليمان معه، على أن القرآن الكريم لم يذكر الكيفية التي يستعملها سليمان للذهاب والإياب بواسطة الريح. ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 81]، ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ(4) ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ(5) ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ(6) ﴿٤٠﴾﴾ [صَ: 36 - 40].

---

(1) محاريب: قصور ومساجد.

(2) وجفان كالجواب: أحواض مائيّة كبيرة.

(3) قدور راسيات: قدور ثابتات لطهي الطعام.

(4) رخاء حيث أصاب: ليّنة ومأمورة حيث أراد.

(5) مقرَّنين في الأصفاد: مربوطين بالقيود.

(6) لزلفى وحسن مآب: قربى وكرامة له من الله في الآخرة.

- أسال له عين القطر وهو النحاس المذاب. قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: 12].

هذا المُلك الكبير كان مخصصاً لسليمان دون غيره من بني البشر بعد أن دعا سليمان ربه واستجاب له دعاءه. ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [صَ: 35].

- علمه منطق النمل: وهناك سورة في القرآن الكريم تسمى سورة «النمل» وتستعرض موقف سليمان مع النمل.

استعراض الجيوش:

كان سليمان نبيًا وملكاً لبني إسرائيل، وجهد في استعمال ملكه لإعلاء كلمة الله، واستعمل ما أعطاه الله من النعم لنشر راية التوحيد.

وكان بإمرته الجند من الإنس، والجن، والطير، والريح كل ينتظر ما يأمر به سليمان. وإذا ما أراد استعراض الجيوش يقف الجميع أمامه. ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ[1]﴾ [النمل: 17].

ومن جملة استعراضه للجيوش، استعراضه للخيل التي كثيراً ما استعملت في الحرب كآلة جهاد. ومرة عرضت عليه بعد الظهر وقبل الغروب. فقال سليمان: إنّي أحببت حبَّ الخير أي: الخيل حبًا ناشئاً عن أمر ربي، لأنّها آلة حرب وجهاد. وما هي إلا لحظات حتى غابت عن الأنظار أثناء الاستعراض فأمر رواضها بإعادتها أمامه. وما إن عادت حتى شرع يمسح بيده الشريفة على أرجلها وأعناقها تكريماً لها. ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ

(1) يوزعون: يجمعون يقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم.

بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ[1] ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ[2] عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ[3] ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ[4] وَٱلْأَعْنَاقِ[5] ﴿٣٣﴾

[صٓ: 31 - 33].

سليمان والنملة:

مرَّ مع نبيِّ الله سليمان أثناء إحدى رحلاته، التي كان يقوم بها في سبيل الله برفقة جيشه الجرار، أمر عجيب.

فبينما كان يوماً في طليعة جيشه على عادته إذا به يمرُّ على وادي النمل، ولفت انتباهه نملة تتكلَّم مع زميلاتها وتنذرهم وتقول لهم: عليكم بدخول منازلكم كي لا يطأكم سليمان وجنوده بأقدامهم وهم لا يشعرون، من خفة وزن النمل إذا ما داستها الأقدام.

فما كان من سليمان وهو بهذه العظمة، إلَّا أن تواضع لخالقه وتبسَّم ضاحكاً من قولها بعدما عرفته وجنوده وخوفها على رفاقها. وشكر نعم الله عليه وعلى والديه وتمنَّى على الله جل وعلا أن يدخله برحمته في عباده الصالحين. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ[6] أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ

---

(1) الصافنات الجياد: الخيل المصفوفة.

(2) حبُّ الخير: حبُّ الجياد للجهاد في سبيل الله وليس من باب الفخر أو حبُّ الدنيا.

(3) حتى توارت بالحجاب: حتى غابت.

(4) ردُّوها علي: ردُّوا الخيل علي.

(5) مسحاً بالسوق والأعناق: فشرع يمسح على الأقدام والأعناق.

(6) أوزعني: ألهمني.

أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ [1] [النمل: 18 - 19].

سليمان والهدهد وملكة سبأ:

في يوم من الأيام بينما كان سليمان يستعرض جنده من الإنس والجنّ والطير، إذا به يفقد طائر الهدهد. وهو طائر جميل يحمل ريشاً على رأسه وكأنّه يضع تاجاً فوق رأسه. وله مهمّة جيدة في الصحراء إذ إنّه بسهولة يستطيع أن يكشف أماكن المياه.

واغتاظ سليمان لغيابه دون إذنه، فتوعّده إن لم يقدم سبباً لغيابه ليذبحنّه ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [النمل: 20 - 21].

وبعد قليل وصل الهدهد ويبدو أنه آت من مكان بعيد. فوقف في مكان قريب من نبيّ الله سليمان يَوَدُّ مخاطبته ويريد أن يبيّن عذر غيابه.

وقال لسليمان: علمت أمراً لم تعلم به، وكأنه يقول: أن كلّ واحد له قدرة ما في هذا الكون الفسيح تختلف عن غيره. ومع عظمة سليمان وعظمة ملكه وما يعرف، فإن الهدهد الطائر الصغير الضعيف قد أعلمه الله

(1) من الإعجاز القرآني أن هذه الآية فيها نداء وأمر وإنذار وإعذار.
والنداء: يا أيها النمل.
والأمر: ادخلوا مساكنكم.
والإنذار: لا يحطمنّكم: موتكم سحقاً تحت الأقدام.
والإعذار: وهم لا يشعرون.

تعالى ما لا يعرف سليمان النبيُّ. ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: 22-24].

وأكمل الهدهد كلامه مع سليمان متعجِّباً من عدم سجود القوم لله، الذي يخرج ما خبِّئ في السماوات والأرض كإشراق الكواكب وإنزال المطر، وإنبات النبات وإظهار المعادن وغيرها من الأرزاق ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل :25 - 26].

هنا أراد نبيُّ الله سليمان أن يتبيَّن ما قاله الهدهد إن كان صحيحاً أم لا، ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: 27]. وأتى بورقة وكتب بها رسالة صغيرة وختمها بخاتم الملك وأعطاها للهدهد، وأمره أن يذهب بها إلى مملكة سبأ، ويلقيها إلى حيث الملكة ويقف جانباً، وينظر ماذا يكون من أمرهم وقال له: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: 28].

ذهب الهدهد بالرسالة مسرعاً إلى مملكة سبأ وألقى الرسالة من كوة صغيرة في الحائط، ووقف جانباً ينظر ماذا سيفعل القوم حينما يقرؤون الرسالة. وأخذت ملكة سبأ الرسالة وقرأتها على جمع الناس الذين كانوا موجودين عندها من أعيان المملكة وكبرائها و﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: 29-31].

فتأملت الرسالة وفكّرت مليًا فيما تريد فعله بعد استشارة قومها، الذين دأبت على استشارتهم، فيما يعترضها من الأمور الهامّة في مملكتها. فتوجّهت إليهمْ و﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: 32-35].

وبعد أن استشارت أعيان المملكة، وقالوا لها: إنّهم أصحاب قوة إذا ما قرّرت الحرب. بيّنت لهم إنَّ الملوك إذا انتصروا في الحرب، وهزموا الجيش، جعلوا أهل البلد الذي يهزمونه أذلّة عندهم. فخافت على قومها، وقررت أن ترسل لسليمان بهدية مع مندوبين عنها لترى بما يرجع هؤلاء.

وقامت بتجهيز هدية كبيرة تليق بالملوك وأرسلتها مع رسلها إلى سليمان.

وعاد الهدهد وأخبر سليمان بما عزم عليه القوم. وما هي إلا بضعة أيام حتى وصل رسل الملكة إلى سليمان بالهدية. ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: 36].

وأعاد الهدية مع الرسل وقال لقائد الوفد: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: 37].

وعاد الرسل بهديّتهم إلى ملكتهم وأخبروها ما سيكون من أمر سليمان بأنّه سيأتي إلى مملكة سبأ بجنوده ويخرجهم من مدينتهم وملكهم أذلّة صاغرين.

حينئذٍ عقدت الملكة اجتماعاً عاجلاً، وتداولت الأمر مع قومها، وقرَّرت بنهايته: أن تأتي بنفسها إلى سليمان خشية الحرب، ومحافظة على بلادها وشعبها.

وأرسلت إلى سليمان من يخبره بقدومها لزيارته فأراد سليمان أن يُعدَّ لها استقبالاً يُبيِّن لها بالدليل الحسيِّ أنَّه نبيٌّ مرسل.

وما إن علم بقرب قدومها حتى عقد اجتماعاً طارئاً، وجمع حوله الإنس والجنَّ. وأراد أن ينقل عرشها من اليمن إلى فلسطين فتحدَّى الحاضرين و﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 38].

هنا تصدَّى لتلبية دعوته عفريت من الجنِّ لكنه حدَّد وقتاً طويلاً بالنسبة لسليمان، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: 39].

وما كان طلب سليمان بنقل العرش من اليمن إلى فلسطين إلا أن يظهر قدرة الله وتأييده له بمعجزة حسيَّة. و﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

آمن بالمعجزة التي حصلت على يديه وألزم الحاضرين بالإذعان لأمره، لكن أراد أن يكتشف أيضاً من خلال نقل العرش مقدار علم ملكة سبأ بعرشها فغيَّر بعض ملامحه.

و﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: 41].

ولما وصلت الملكة إلى بلاط سليمان ودخلت عليه ومثلت بين يديه قيل لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: 42].

وأخذتها الدهشة . . إنَّه عرشها الذي في اليمن. . . فكيف جاء إلى هنا؟!:

لا بد أن هناك شيئاً ما خطير وعظيم قد حصل.

كيف حدث هذا؟!

بهرها هذا الأمر ولكنَّها كتمته في نفسها. وكانت شديدة الذكاء، فنظرت إليه و﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: 42]. وإذا بسليمان قد أعطي العلم من قبلها وكان على الإيمان والإسلام، بينما هي كانت على الكفر. ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل: 42-43].

وتوحي الآية الكريمة المفارقة الشاسعة بين عِلْم نبيِّ الله سليمان وعقيدته، وبين عِلْمِها وعقيدتها التي تعود إلى عبادة الشمس والأوثان.

وهنا أراد سليمان أن يلزمها الحجَّة فأدخلها في صرح أرضه من زجاج وتحت الزجاج ماء، ليرى أهيَ بصيرةٌ أم غبيَّة و﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النمل: 44]. بعد أن أمر الجنَّ ببناء قصر من زجاج يجري الماء من تحته، حتى يظنَّ السائر على أرضه أنَّه يسير على الماء ويرى ما يجري فيه. وقيل لها بعد ذلك أن تدخل الصرح، فإذا بها ترى ساحة كبيرة حسبتها ماء فكشفت عن ساقيها كي لا تبتلَّ ثيابها.

حينئذٍ نظر إليها سليمان وواجهها و﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: 44]. أي: إنَّه بناء أملس مصنوع من الزجاج، وليس ببحر

ماء كما ظنَّت، ودعاها للإسلام فاستجابت لدعوته و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44]. فاستغفرت ربَّها مما كانت تعبد من دون الله وآمنت بالله ربًّا وبسليمان نبيًّا. وبهذا ربحت الإسلام وفرَّجت عن شعبها ذلَّ الحرب والمهانة، وربحت الدنيا والآخرة.

موت سليمان:

كان الناس في عهد سليمان يظنُّون أن الجنَّ يعلمون الغيب، فأراد الله أن يكشف زيف هذه العقيدة.

فبينما كان سليمان واقفاً يراقب الجنَّ في بناء عمارة ضخمة متكئاً على عصاه. جاءه ملك الموت فمات. والجنُّ يظنُّون أنَّه ينظر إليهم ويراقبهم، فكانوا يعملون بجدٍ واجتهاد، وعملت الأرضة[1] عملها في عصا سليمان، حتى أكلت قسماً كبيراً منها، فانكسرت وسقط سليمان على الأرض ميتاً.

فكشف الله بذلك زيف ما كان يعتقده الناس، ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ[2] تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ[3] فَلَمَّا خَرَّ[4] تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14].

(1) الأرضة: حشرة صغيرة تأكل الخشب.
(2) دابَّة الأرض: حشرة صغيرة تأكل الخشب.
(3) منسأته: عصاه.
(4) خرَّ: وقع.

العبر من قصّة سليمان :

يؤخذ من قصّة سليمان عدّة عبر. منها:

1 - بالشكر يزداد التواضع لله، وتدوم النعم وتزداد، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

2 - العلم يزيّن صاحبه ويُجمّل أخلاقه، ويلطّف تعامله.

3 - يجيب الله من دعاه مخلصاً، كما أجاب عبده ونبيّه سليمان ما لم يعجل المرء، فيقول: قد دعوت فلم يُستجب لي.

4 - يجيب الله دعاء الداعين كما يشاء، لا كما يريدون. فقد يحقّق لهم ما طلبوا عاجلاً. وقد يصرف عنهم من البلاء بقدر الدعاء، وقد يؤخّر الإجابة ليوم تكون حاجة الداعين أشد إلى الإجابة.

5 - يعطي الله خلقه بنفس النسبة، فإذا زاد الله في المال أنقص في غيره، وإذا أنقص في شيء من القوى زاد في غيره. فالأعمى يحفظ أكثر من المبصر. وقد يسمع إنسان أكثر من غيره، أو يرى أكثر من غيره، فرحمة الله أعطت كل مخلوق من القدرات ما يحتاج إليه ويتفوّق على غيره.

6 - عندما يتذكّر الإنسان نِعَم الله عليه يجب أن يشكره ويطلب منه أن يرحمه ويدخله في عباده الصالحين، كما كان الأمر عندما سمع سليمان كلام النملة.

7 - كلما أنعم الله على المؤمن، ازداد قرباً منه وخوفاً ومراقبة. فهذا سليمان حين عُلِّمَ منطق النمل، طلب من الله أن يدخله في جملة عباده الصالحين وأن يلزمه بالإيمان فلا يحيد عنه.

8 - يؤيِّد الله الأنبياء بالمعجزات التي تزيد في إيمانهم وتقوِّي يقينهم وتحضُّ الناس على اتِّباعهم.

9 - الجهاد في سبيل الله أمرٌ مشهور في الأنبياء. فما كان استعراض سليمان للخيل إلَّا لأنَّها آلة حرب وسبب الانتصار.

10 - لا ينبغي للإنسان أن يستخفَّ بمخلوق من مخلوقات الله، التي تدلّ على قدرته.

11 - علم الله واسعٌ يُطلِعُ عليه من شاء من عباده وأحياناً من خلقه. فهذا الهدهد عَلِمَ ما لم يعلمه سليمان.

12 - قد يغيب عن الإنسان معرفة أقرب الأشياء إليه. من هنا قال الصوفيَّة: «شدَّة القرب حجاب». وهذه ملكة سبأ ترى الماء تحت الزجاج فيغيب عنها أن فوق الماء زجاج.

13 - إنَّ الأدلَّة الحسِّيَّة تقوِّي اليقين وتزيد الإيمان.

14 - إنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب، ولا حتى ما يرونه، فسليمان مات وبقي زمناً طويلاً، ولم تعلم بموته الجنُّ؛ بل كانت تظنُّه يراقبها، وما علمت حتى سقط على الأرض. فإن كانوا لا يعلمون ما يرون، فلا يعلمون ما لا يرون بالضرورة.

15 - الأنبياء لا تفنى أجسادهم، وهذا سليمان لم يُعلم بموته إلا بعد حين.